



حكاية «لوكريسيا»

القديمة:

واستقرار الحكم في مصر!

أنيس منصور

تحتوي

الاستقرار والاستمرار أو استمرار الاستقرار في مصر قد أدى إلى إحراج الحكومات العربية التي تمزقها الخلافات الداخلية، وتزلزلها المخاوف الخارجية.. سواء كانت حكومات فردية أو قبلية.

وقد أدى سقوط الشاه أو إسقاط الشاه إلى نأس هذه الحكومات العربية من المساندة الأمريكية لأصدقائها. كما أدى فشل أمريكا في إنقاذ مواطنيها الرهائن إلى أن يتأكد عجز الإدارة الأمريكية عن الافلات من عقدة «فيتنام» أي عقدة الفشل الذي لحق تدخلها المباشر في الخلافات الآسيوية.. كما أن التجربة المصرية السوفيتية قد شككت في الموقف السوفيتي وفي قدرة الكرملين على فعل شيء من أجل أمة قضية - إلا في سوريا التي تحتاج إلى دعم قوى ضد الشعب الناصر على الأقلية العلوية الحاكمة، وإلا في ليبيا الخائفة من مصر..

ولكن دول الخليج عاقت من البديل السوفيتي - أي البديل عن الحماية الأمريكية. وفي نفس الوقت بحثت عن بديل عن الزعامة المصرية. فالتجأت دول الخليج إلى العراق السيد الجديد. وساندته في حربه ضد إيران.. والتجأت سرا إلى أمريكا.. وإلى الدول الأوروبية..

أما أمريكا فقد شجعها الرئيس السادات على اتخاذ موقف إيجابي، عندما أبان لها الخطر السوفيتي على المنطقة. وعندما منحها تسهيلات عسكرية لحماية أية دولة عربية أو إسلامية.. فخرجت طائراتها من مطار قنا لإنقاذ الرهائن.. وخرجت أسلحتها للسعودية ولالأردن. وللصومال وأفغانستان. ونشرت أمريكا مظلة من طائرات الإنذار المبكر فوق السعودية والخليج..

ولكن بقيت الدول العربية على ما هي عليه وأساء: القلق على يومها. والأرق على غدها.. ولم تتفق الدول العربية على رأى واحد من أجل القضية الفلسطينية التي ضاعت في سوق السياسة الدولية والقومية والداخلية..

ولما أعلن الرئيس السادات كثيرا أن هذه الأوضاع سوف تنقلب على حكومات المنطقة وأن مصر وحدها هي جزيرة السلام وحسن الأمان، قالوا إنها نفس العبارة التي أعلنها الرئيس كارتر حين وصف الأوضاع في إيران. ثم سقط الشاه دون أن يدري الرئيس كارتر أن أمريكا هي التي أسقطته.. إذن فمصر هي إيران القادمة!؟ ولا بد من البحث عن خوميني جديد لمصر!؟ وتحملت الدول العربية ودفعت أموالا كثيرة لكل من يأبى بتفصيل الانقلابات المقبلة في مصر!؟ وضاعت الأموال. وسوف تضيع غيرها. ولم يظهر خوميني! بل إن خوميني نفسه سوف يختفي من إيران!

وفي مواجهة ذلك كله أعلن الرئيس السادات أن التحدي لا يزال قائما: إما أن تكون مصر في سعيها من أجل السلام الشامل وحل القضية الفلسطينية على خطأ، وإما أن الدول العربية كلها هي التي على خطأ. ولم تتقدم الدول العربية بشيء بديل عن مبادرة السلام واتفاقيات كامب دافيد والمعاهدة مع إسرائيل وعن زعامة مصر للعالم العربي والإسلامي. ولم تتوقف حملات التشكيك والتشويه، في بعض الصحف العربية والأجنبية.

وإن كان كثير من الذين تعاملوا على مصر قد عادوا فأكدوا صحة الخطأ المصري، وصدق الفراسة المصرية لكل ما يحدث في المنطقة العربية.

وليس الصحفي البريطاني دافيد هيرست إلا نموذجاً بارزاً لكثير من اغتاليين السياسيين. فهو الذي حمل على مصر بعنف وكان ظالماً مغرماً. وطردته مصر. ولكنه عاد فكتب أخيراً أن كل ما توقعه الرئيس السادات صحيح تماماً. وأنه أقدر العرب على زعامة العرب. وعلى فهم العرب. وأنه على صواب. وأنهم على خطأ عندما توهموا أنهم قادرون على فعل شيء بمعزل عن مصر..



ومنذ أيام جاء صحفي إسرائيلي إلى القاهرة مندوباً عن «جيبوسالم بوست». وكان هدفه الأول أن يقوم بزيارة للمدن المصرية الجديدة: مدينة السادات والعاشر من رمضان وأن يرى بنفسه مشروعات الأمن الغذائي.. وأن يتابع أعمال البناء والتشييد في كل مكان لأنه يعتقد أن هذا البناء أكبر دليل على حرص مصر على السلام..

وأن يحاول مقابلة السيد حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية.. ولم تكن هذه زيارته الأولى للقاهرة. فقد رأى كثيرين وكثيراً. ثم عاد إلى القدس ليكتب شيئاً عجيباً: أن هناك صراعاً بين الرئيس السادات وبين نائبه السيد حسني مبارك. وأن السيد حسني مبارك هو مركز القوة الجديد وأن الرئيس قد قرر تصفية هذا المركز الجديد ومن معه من الوزراء وأن هذا القرار قد تأجل إلى ما بعد زيارة د. كيننجر لمصر!؟..

ومن الطبعي أن تتلطف الصحف العربية هذا التبا عن إذاعة إسرائيل. كما أنه انتقل بنفس السرعة إلى «التجريف» البريطانية، ومن مراسلها في القدس، فرغم



... وهل يستمر الحزبي في إيران ؟



ول إسمان كان لقاء الرئيس السادات بالسيد حاييم هرتسوج . وقد حضر اللقاء السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية ود . فؤاد محي الدين نائب رئيس الوزراء . وكان الحوار شاملاً .

الأجانب وسألوه عن كل شيء . ثم كتبوا مايجلوهم . ولم تضع مصر قيداً على أفعالهم أو خطواتهم . فكل المؤسسات مفتوحة أمامهم . وليست في مصر رقابة على رسائل أو برقيات المراسلين الأجانب - وليس في استطاعتهم في إسرائيل أن يبعثوا برسالة أو برقية دون موافقة الحكومة ، حرصاً على الأمن القومي . أما في مصر فهم أحرار يفعلون ويكتبون مايشاءون - ومثل هذه الأخبار الكاذبة هي بعض مايشاءون - . ولكن لماذا ؟ .

إن بعض مراسل الصحف الأجنبية والعربية كثيراً مايقعون تحت إغراءات شديدة . بعضها إغراءات الإثارة الصحفية الضارة . وإغراءات الدول العربية التي تغذى بأموالها حملات التشويه لوجه مصر . ومن المعروف عندنا تماماً من الذين التقى بهم مراسل صحيفة « جيروزالم بوست » . إنه قد التقى « بجماعة الكراهية » الذين كانوا في السلطة أو كانوا مراكز قوى قديمة . والذين يعملون بالعودة إلى مقاعدهم على أنقاض نظامنا المستقر القائم . وهذا المراسل مثلهم جميعاً يتوهمون بسبب ارتفاع نبرة المعارضة المصرية ، أن هذا هو نبض الرأي العام المصري . فيقفزون إلى النتائج . ويقلبون الأوضاع ، فبدلاً من أن يروا أن الاستقرار هو الرأي العام ، يحددون أن المعارضة هي الرأي العام . ومادامت المعارضة صارخة فالناس جميعاً كذلك .

ولكن مهما ذهبت المعارضة في نقد النظام ، فإن أحداً لن يسكت صوت المعارضة . فالديمقراطية في مصر لا تستحق هذا الاسم دون أن يكون هناك رأى آخر . ودون حرص منا على الرأى الآخر . ولكن إذا كان هناك اعتراض على المعارضة ، فهو أنها كثيراً ماذهب إلى التجريح والمبالغة في ذكر العيوب . ثم التطوع للشهير بمصر في مثل هذه الصحف الأجنبية ، وإن لم يكن ذلك عادراً أخلاقياً ، فهو جرعة قومية .

ويوم التقى الرئيس السادات بمجلسي الشعب والشورى كان يؤكد أن القاعدة الشعبية قد اتسعت . أى أن القيادة والرقابة الشعبية قد أصبحت بالمئات وبالألوف ، لمصر لا يحكمها فرد أو عدة أفراد . إنما إدارتها تضم المئات ، وهذه القيادات قد أرهقها العمل والسهر وأسعدها أيضاً . ولذلك فشل هذه الأخبار ، إلى جانب أنها كاذبة فإنها تحاول الوقعة بين الرئيس السادات ونائبه السيد حسنى مبارك أحد أبطال أكتوبر .

ومن المؤكد أنها محاولة فاشلة . فليس نظام الحكم في مصر هشاً إلى درجة أن خيراً مكذباً يقيمه ويقعده . . .

لقد كان ذلك فيما مضى من ألوف السنين عندما قامت الحرب من أجل هيلين حسناء طروادة . . .

ولم يعد من الممكن أن تقوم حرب مثل الحرب السبعينية بين النصارى وفرنسا ، لأن السفير الفرنسي قد أحمله المستشار بسمارك ساعة أو ساعتين . ولا أن تشب حرب

أن إسرائيل في فزع مما سوف يحدث ، وإن الإدارة الأمريكية الجديدة لايد أن تراجع حساباتها قبل أن تستقر الأوضاع في مصر ؟ . . .

ولاشيء يسعد « النظم » العربية القلقة . سوى أن يكون القلق شاملاً في العالم العربى . وخاصة في مصر . . .

ولاشيء يريح الذين ضابقتهم التفاهم المصري الأمريكي مع الإدارة الجديدة ، إلا أن يكون هناك شقاق سريع بين السادات وريغان ! . . .

وفي نفس الوقت نشرت صحيفة « بالتيمور صن » ، لمراسلها في القدس أيضاً مقالين هجومياً على السياسة المصرية ، وعلى الصورة الرائعة للقيادة المصرية عند الرأى العام الأمريكى . . . ولم يخف المراسل مصادر المعلومات التي استقاها عن الوضع في مصر ، فذكر أسماءهم جميعاً ! . . .

وصحيفة « بالتيمور صن » هي التي ادعت أن الرئيس السادات قال : فليذهب ريغان إلى الجحيم ! . . .

ولم يكن ريغان هو المقصود - كما نعلم - وإنما الرئيس جونسون ووزير خارجيته فوستر دالاس . . .

ولابد أن هذه الصحيفة الأمريكية قد ساءها تصحيح هذا اللبس عندما ذهب السيد حسنى مبارك إلى أمريكا وأوضح الموقف المصرى للإدارة الجديدة . . .

وحين نشرت صحيفة « جيروزالم بوست » هذه الأكذوبة كان السيد حاييم هرتسوج أحد مديريها بالقاهرة . وسمع من « صوت إسرائيل » هذا النبأ العجيب . ولم يعرف على أى أساس اعتمد المراسل في نشر هذا الخبر .

ثم التقى السيد هرتسوج بالرئيس السادات في أسوان . وقد حضر هذا اللقاء السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية ود . فؤاد محي الدين نائب رئيس الوزراء . وأنا . وتناول اللقاء كل القضايا السياسية والحزبية ومستقبل السلام بين مصر وإسرائيل والخطوات القادمة لحل المشكلة الفلسطينية والأوضاع الحزبية في إسرائيل . وكان الحوار صريحاً وشاملاً . . .

وعلق السيد هرتسوج على هذا اللقاء بقوله :

إن الرئيس السادات طراز فريد بين الزعماء في العالم . بل هو الزعامة الوحيدة البارزة في المنطقة . ولم أكن أتصور أنه بهذا الهدوء والاتزان والصفاء العقل . . .

وقال الرئيس السادات تعليقاً على الحديث مع السيد هرتسوج : لقد استمتعت بالحوار معه وبإحراكه السلم لكل القضايا السياسية بين البلدين وفي الشرق الأوسط . لقد سمعت عن السيد هرتسوج وقرأت له ولكنى وجدته ممتازاً . وأنا أحب الحديث إلى مثل هذه العقول المضيئة . . .

وقد التقى بالرئيس السادات كثير من مندوبى الصحف الإسرائيلية والبرلمانية

ليأتكوا إن كان صحيحاً ما نشرته بعض الصحف العربية من أنها خالية من السلع وضروريات الحياة .. وقد تحدثت القاهرة طويلاً عن ذلك المواطن المصري الذي نزل من الطائرة مسرعاً ليطمئن على سلامة مصر ثم لم يجد إلا كل مايسعده .. فذهب إلى المسجد وصلى ركعتين شكراً لله .. ثم اتجه إلى بيته ليكتشف أنه قد نسي زوجته وأولاده وأمتعته في المطار ! ..

لقد شغلته مصر عن كل شيء .. وليس هذا إلا واحداً من مئات الألوف العاملين في الخارج ..

وقد اعتاد المصريون في الخارج على قراءة وسماع الأكاذيب عن مصر .. كما اعتادنا نحن على الصدق وعلى الحرية وعلى حق الأقلية الضالة المضلة أن تعيش بسيادة القانون في أمان ..



ومهما كانت الأسباب التي دعت .. وسوف تدعو .. إلى كتابة مثل هذه الأخبار السامة .. فإن مصر كما هي : مستقرة آمنة ماضية في مزيد من الديمقراطية والحرص على الرأى الآخر وفي إحراج الدول العربية الأخرى التي لا تعرف لا الديمقراطية ولا الأمان .. وسوف تمضي في السلام مع إسرائيل على تدعيم العلاقة بين مصر وأمريكا شريكنا الكامل في التسوية الشاملة .. وفي نفس الوقت سوف تكون مصر أول من يؤيد أية محاولة أوربية عربية من أجل حل القضية الفلسطينية ..

وأهم من ذلك كله : سوف تتسع قاعدة القيادة والرقابة الشعبية لتحمل مكاسب ٩٩٪ في مواجهة أقل من ١٪ من الشعب ! ..



وقد نجح الإغريق في تصوير مكانة مصر المنحصرة بين شقيقتها العربيات .. فعند الإغريق أن سيدة فاضلة اسمها لوكريسيا عاشت في مدينة متحلة الرجال والنساء .. وكانت حياة لوكريسيا هذه محمداً يومياً لكل امرأة ولكل رجل .. فضاعت النساء بهذه السيدة الفاضلة .. فتأمرت النساء على إسقاطها في نفس الوحل .. وذلك بأن اقنع الرجال بالسفر بعيداً عن المدينة .. ثم أرسلن هذه السيدة بمن يغريها ويحاول الاعتداء عليها .. فإذا حدث .. أو أشيع أنه حدث .. أصبحت المدينة كلها متحلة .. ولم تعد هناك فضيلة أو رذيلة .. فالكل في الوحل سواء ..

وفشلت محاولة النساء في إسقاط هذه السيدة .. وبدلاً من أن يسقطن سيدة فاضلة .. فإن عصمة هذه السيدة وعظمتها .. قد أسقطت المدينة كلها وفضحت الرجال أمام النساء .. والنساء أمام الرجال ..

وبقيت لوكريسيا رمزاً حياً للتحدي الفاضل في مواجهة الانبيار الخلق والسقوط الاجتماعي ! ..

ولذلك نحاول كل النساء الساقطات ألا تكون هناك امرأة فاضلة .. ونحاول كل الدول المتهاة ألا تكون هناك دولة قائمة مستقرة آمنة ..

ومصر بملايين الأربعين وحضارتها العريقة واستقرارها شعباً وقيادة .. وصدقها في تحقيق السلام وبجاحها المستمر .. سوف تجعل مهمة الدول العربية مستحيلة .. وهي بالفعل كذلك .. ولكن الكراهية والحقد واليأس والمهلوسة السياسية هي التي تصور لحكام هذه الدول أن الذي يتوقعون حدوثه هو دائماً في الخارج وفي مصر بالذات .. وليس في الداخل عندهم وبينهم وبينهم وعلى رؤسهم - وهكذا تصدق نبوءة مصر ! ..



عالمية بسبب مقتل الأمير الحساوي فرانس فريدناند في يوغسلافيا .. ولأحرب بين أمريكا وإيران بسبب خمسين من الرهائن .. ولا أن تسمح مصر عبارة السادات في الكنيسة من أنه لأحرب بعد اليوم بين مصر وإسرائيل بسبب « هليان » مراسل أجنبي !

وعندما استدعى السيد منصور حسن وزير الدولة لرياسة الجمهورية والإعلام سفير إسرائيل د. الياهو بن ألياسر .. أكد له السفير أنه لاسلطان للدولة على الصحف .. وأن صحيفة « جيسولام بوست » بالذات قد احتضت بالرئيس السادات أكثر من حفاظها بالسيد بيجين .. وأن مثل هذا الخبر لا يمكن أن تكون الحكومة هي مصدره أو وراءه ولا مصلحة لها في ذلك ..



وقبل ذلك بأيام نشرت صحيفة « عل هشمير » خبراً عن الميدالية التي توزعها القوات المسلحة في عيدها .. وهذه الميدالية قد نقش على أحد وجهيها : جندي مصري يحمل بندقية وعظم بها نجمة داود ودبابة إسرائيلية .. وتعب الصحيفة على السفير الإسرائيلي في القاهرة أنه تلقى هذه الميدالية ولم يتقدم باحتجاج رسمي إلى مصر على موقفها العدواني من السلام !

وقد تلقت الصحيفة هذه الميدالية من اثنين من الدبلوماسيين الأجانب في مصر .. وكانت مندوبة هذه الصحيفة هي الأخرى بالقاهرة .. وكانت على حريتها التامة في لقاء من تشاء .. ومن بين الذين لقبتم بعض أعضاء « جماعة الكراهية » لكل إنجازات مصر في الحرب والسلام والديمقراطية ..

وتردد النبا في « صوت إسرائيل » وفي التليفزيون .. وسارعت السفارة المصرية باستنكار هذا النبا ..

وكذلك فعلت صحيفة « معاريف » ..

أما حقيقة هذه الميدالية فهي أنها « سلسلة مفاتيح » توزعها القوات المسلحة على الشخصيات العامة وفي المناسبات القومية وعلى الوفود المختلفة التي تزور مصر .. وقد أنتجت هذه الميدالية سنة ١٩٧٣ .. وطبعي جداً أن تفعل ذلك .. فقد انتصرت مصر وحطمت قواتها نجمة داود .. وقد فعلت إسرائيل ما هو أكثر من ذلك بعد انتصارها في ١٩٦٧ .. ولكن مصر لم تعد توزع هذه الميدالية بعد مبادرة السادات بالسلام .. ومن الممكن أن يكون بعض الذين أخذوها قد احتفظوا بها .. فلماذا نشرتها الصحيفة الإسرائيلية الآن ؟ ..

لتقول إن هناك مشاعر عدوانية لإسرائيل في مصر .. رغم كل المحاولات الحادة المخلصة لتطبيع العلاقات بين البلدين .. وبعد أن تأكد للعالم كله أن السلام أمل الجميع أصبح حقيقة مؤكدة .. ولتقول إن هناك ازدواجاً في القيادة المصرية .. فالرئيس السادات ودعوته الصادقة إلى السلام في جانب .. والمؤسسة العسكرية في جانب آخر ..

أو أنها فرصة لهذه الصحيفة لكي تجدد حملتها على السفير الإسرائيلي في مصر .. فإن كان هذا هو السبب الوحيد .. فالأمر لايعنيا ..

غير أنني لا اعتقد أن هذا هو القصد الوحيد من هذه الأكذوبة ..

ولأظن أن بعض صحف إسرائيل وبعض الصحف العربية تحلك أكثر مما تحلك من القدرة على نشر الأخبار المثيرة الحقيقية والفضائح الوزارية والشخصية المؤكدة .. ولدينا الكثير جداً .. ولكن نحن لا نخاف على مصر الأفراد ولكن نخاف على مصر الشعوب .. والعلاقات الهامة والحيوية بيننا ..



وملايين المصريين يعرفون جيداً فرج أنارهم في البلاد العربية عندما كانوا يقرأون ويسمعون الأكاذيب المستمرة عن كل شيء في مصر .. فلايكادون يصلون إلى مطار القاهرة حتى يتطلقوا إلى الشوارع ليروا أين هذه المشائق المعلقة والمترايس التي تسد الميادين والمظاهرات التي تحلك بالأبرياء .. ثم يندفعوا إلى المطاعم ومحلات البقالة